باب المراسلة والمناظرة

لبنان ومصر [1]

النص الرسمي للخطاب الذي ألقاه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك في الحفلة التكريمية التي أقامها له معالي نائب رئيس مجلس الوزراء وزير التربية الوطنية الأستاذ حبيب أبو شهلا .

سيدي صاحب الدولة الرئيس ، سيدي صاحب المعالي الوزير ، سادتي :

يقول المثل العربي القديم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ولم أشعر قط بصدق هذا المثل كما أشعر به الآن . فقد كنت أعلل نفسي سعيداً بأن أهل هذه البلاد الكريمة يحسنون الظن بي ويضيفون إليّ شيئاً من فضل ، لأنهم يسمعون بي أكثر مما يرونني . ثم أراد فضلكم العظيم أن تستقبلوني وتحتفوا بي هذه الليلة وتفضل معالي وزير التربية والتعليم فأهدى إليّ هذا الثناء الجميل الذي سمعتموه وها أنا ذا أنهض لأؤدي بعض ما يستوجب هذا التفضل من الشكر ، فإذا أنا مقصر لا أقدر على شيء ، ومفحم لا أجد ما أقول ، ومصدر هذا العي أمران : أولهما أني أعجز الناس عن الشكر حين تهدى إليّ النعمة ، ويسدى إليّ الجميل ، لأني أرى كل ما يقدم إليّ من فضل أعظم مما استحق وأجل من أن ينهض به الشكر . فأنا في رأيي نفسي أقل جداً مما يظن الذين يتفضلون عليّ بالثناء . وثقوا بأني لا أقول هذا تواضعاً ولا تكلفاً للتواضع ، وإنما هو رأيي في نفسي وفي كل ما يصدر عني من قول وعمل . وأقسم ما أتيت شيئاً من الأمر وما قلت شيئاً وما كتبت شيئاً إلا وهو في نفسي أقل مما كنت أريد وأهون جداً مما يرى الناس فيّ ومما يتفضلون به عليّ من ثناء . الأمر الثاني : أني لا أرى نفسي إلا فرداً من الأفراد ، وعمل الأفراد مهما يكن أهون من أن يحتفل به أو يؤبه له . لذلك أعتقد أن ما تتفضلون به عليّ الليلة من احتفاء إنما هو موجه إلى مصر . ومن حق لبنان أن يكون بمصر حفيًّا ، ومن حق مصر أن تحتفي بلبنان ، فإن الأمر بينهما على ما فيه من رفع الكلفة خليق بالاكبار حقيقا . فهذان الوطنان الكريمان قد تعاونا دائماً على الخير ، وتظاهرا دائماً

(١) الدكتور طه حسين بك قالها في حفلة تكريمه في لبنان

على تحقيق المنفعة الانسانية الكبرى ، وأؤكد لكم ان التعاون الخصب بين مصر ولبنان أقدم عهداً وأبعد مدى مما يظن المنجلون في الحكم .

فنحن لا نكاد نرى وطنينا في فجر التاريخ القديم إلاّ متعاونين على الخير متظاهرين على نشر الحضارة والثقافة . ولقد كانت ممفيس والاسكندرية يعملان على نشر الحضارة والثقافة والمعرفة متساونتين على ذلك مع صور وصيدا كما تتعاون القاهرة الآن مع بيروت على نفس هذا الغرض النبيل . فالود بين مصر ولبنان قديم ، والتعاون بين مصر ولبنان بعيد المدى ، عظيم الخطر ، لا يقتصر نفعه عليهما وحده . بل يتجاوزهما إلى جميع الأوطان التي تحب الحضارة وتريد أن تنتفع بها . وما دام الأمر قد جرى على هذا النحو في الماضي فمن الطبيعي أن يجري عليه إلى أبعد آماد المستقبل ، فانه قانون طبيعي من قوانين الجوار بين هذين الوطنين الكريمين . فلا غرابة اذاً في أن يتبادلا الثناء ، ويتهاديا المعروف ، ويقدرا كل منهما لصاحبه نصيبه في تحقيق المنفعة الانسانية العليا .

وقد تفضل حضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم فأثنى على ما لي من مشاركة في الهدف ومن حظ في الانتاج الثقافي والأدبي . فاسمحوا لي أن أعيد عليكم حقيقة من الحقائق الأولية في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ولكني أرى أن تكرارها واجب لأنه أداء للحق واعتراف بالفضل لاصحابه ، وهي أن الأدب الحديث في مصر وفي الشرق العربي كله مدين بنهضته لعلمائكم وأدبائكم الذين سبقوا في القرن الماضي إلى العناية بدرس الأدب العربي القديم واحيائه كما سبقوا الى توثيق الصلة بين العقل العربي الشرقي والعقل الأوربي الغربي . وأنا رجل أنفقت حياتي في التعليم وتعوّدت ألاّ أرسل الأحكام عفواً دون أن أقيم عليها الأدلة . وما أحب أن ألقي عليكم الآن محاضرة في تاريخ الأدب العربي الحديث فانما يكفي أن أذكر بعض الأسماء فذكرها يغني عن كل دليل . يكفي أن أذكر اليازجي والبستاني وصرّوف وزيدان وأن أذكر الضياء ودائرة المعارف وترجمة الاباذة والمقتطف والهلال . فهذه الأسماء كلها واضحة الدلالة على ما قلت من أن علماءكم وأدباءكم سبقوا الى احياء الأدب العربي وتحقيق الصلة بينه وبين الآداب الأوربية الكبرى . فمن زعم لكم من أدباء الشرق العربي المعاصرين انه ليس مدين للبنان بشيء من أدبه ، فهو منكر للحق كافر للنعمة جاحد للجميل

سادتي : ان كثيراً من الناس يزورون بلادكم الجميلة في فصل الصيف ويلتمسون فيها الراحة والاستمتاع بجمال الطبيعة ، وأنا أشاركهم في هذا ، ولكن أخص نفسي بمتعة لا يكاد يشاركني فيها أحد . فأنا لا استمتع في بلادكم بطبيعتها الرائعة ونسيمها العذب وثمراتها المختلفة المتشابهة الحسن . وانما استمتع فيها بأدب رائع غض فيه لذة للنفس وحياة للقلب

وتغذية للعقل . وإذا كان الجيل المعاصر قد أعرض عن سنة الجيل الماضي في إحياء الأدب القديم والتعمق في دراسته ، فإن له من الأدب الرفيع حظًا عظيمًا سواء في ذلك الشعر والنثر . ثم إنا لا أستمتع بأدبكم الذي يتخذ اللغة الفصحى أداة للتعبير فحسب ، وإنما أستمتع بأدبكم الشعبي الرائع الدقيق النفاذ .

فإذا أثنيتم عليّ بأن لي حظًا من أدب ، فإنما تثنون على أنفسكم ، لأني مدين لكم بهذا الأدب . وكم كنت أريد أن أؤدي إليكم بعض ما لكم من حق ، وأن أشكر لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية فضله العظيم ، ولحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء عطفه الكريم ، ولحضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم كرمه الجم وثناءه العذب وجميله الذي طوقني به تطويقًا معنويًا قبل أن يطوق عنقي به تطويقًا ماديًا كما ترون ، وللبنان كله هذه الأيام السعيدة التي أقضيها فيه ، ولكني كما ترون عاجز عن أن أبلغ ما أريد . وأنا مع ذلك معروف بطول اللسان ، ولكن ربّ نعمة قصرت أشد الألسنة طولاً ، والواقع أن نعمكم قد أفحمتني فليتولّ الله شكركم عني فإنه على ذلك قدير .

حول كتاب محمد عبده

للدكتور عثمان أمين

حضرة رئيس تحرير المقتطف

قرأت في باب مكتبة « المقتطف » (ص ١٨٥ عدد فبراير سنة ١٩٤٥) ما تفضلتم فخصصتم به كتابي عن « محمد عبده » الذي ظهر في مجموعة أعلام الإسلام منذ شهور .

وإني مع وافر شكري لجميل عنايتكم بالكتاب وحسن ظنكم بمؤلفه ، أرجو أن تسمحوا لي بكلمة موجزة ردًا على بعض الملاحظات التي أوردتموها في آخر المقال .

لاحظتم أني لم أتعرض في كتابي للكلام عن صلة محمد عبده بالحركة العلمية التي ظهرت في الغرب وفي الشرق بقيام مذهب التطور والنشوء . وهذا حق ، فإني أغفلت الكلام عن هذه المسائل وأشباهها في مذهب محمد عبده ، لأني إنما أردت أن يكون كتابي في « أعلام الإسلام » تحلية لسيرة الأستاذ الإمام . أما الخوض في فلسفة محمد عبده وآرائه الدينية والاجتماعية ، فقد جعلت له مؤلفًا آخر مستفيضًا ، كتبته بالفرنسية منذ سنوات في « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » وهو البحث الذي قدمته إلى جامعة السربون لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة ، وتقوم الآن بطبعه وزارة المعارف .

وقلتم حضرتكم ، في معرض الكلام عن موقف الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني من أنصار مذهب « التطور » إن « الخطوة التي خطاها السيد والشيخ كانت خطوة عظيمة ولكن إلى الوراء ... والحق إن الكلام في ذلك كان خارجاً عن عاطفة ، فلم يصيبا فيه ولم يوفقا في نقودهما التي وجهاها إلى المذهب الذي قلب نواحي الفكر في القرن التاسع عشر » .

وملاحظتي على هذا القول أنه إن صحَّ إلى حدٍّ ما بالقياس إلى السيد جمال الدين ، فليس يصح مطلقاً بالقياس إلى الشيخ محمد عبده : فإن الاستاذ الامام كان موقناً بحقيقة التطور ، مناصراً له على نحو لم يسبق اليه . وأكثر من هذا أنه أراد ان يطبق معاني ذلك المذهب ، ولكن في صورة روحية ، على العقائد الإسلامية ، وأن يجعل له في تفسير القرآن نفسه مكانة ظاهرة ، وهذا ما أخذه عليه بعض المحافظين من الأزهريين . بل إن للشيخ نظرية طريفة في فلسفة التاريخ الديني ، يتجلى فيها هذا الاتجاه بوضوح ، وقد تناولها بالعرض والنقد في فرصة أخرى . وهذا وكثير غيره قد بسطته في بحثي الفرنسي الذي أشرت إليه ، وستظهر ترجمة له عن قريب .

بقي أنكم استدركتم على لفظ « اللاهوتي » الذي استعملته وصفاً للاستاذ الإمام باعتباره صاحب مذهب في الدين . وقد آثرتم حضرتكم أن يترك هذا الاستعمال للكلام في اللاهوت المسيحي ، وذهبتم إلى أنه « لا يوجد لاهوتية في الإسلام ، ولا يوجد لاهوتيون عند المسلمين » .

ولكني أعرف أن الدين شيء واللاهوت شيء آخر ، وأن الدين يسبق اللاهوت : ذلك أن الاتصال الديني وإدراك الأمور الإلهية بالحدس الغامض ، عملان سابقان على عمل الفكر الذي يروّي ويتأمل مسائل الدين . فاذا صح أن في المسلمين ، كغيرهم من أهل الأديان ، مَنْ يشعر شعوراً دينيًّا ، ومنهم مَن يفكر في المسائل الدينية تفكيراً عقليًّا ، فلست أرى وجهاً لأن نقصر استعمالنا للاهوت على التفكير في الدين المسيحي .[1]

ولعلكم حسبتم أن اللفظ لم يستعمل في لغتنا العربية كما استعمل في اللغات الافرنجية . ولكن الواقع أن لدينا نصوصاً كثيرة ورد فيها ، وبخاصة عند المشتغلين بتاريخ الملل والنحل من مؤلفي العرب . يضاف الى ذلك أن لأهل التصوف من المسلمين نظريات معروفة في

(١) من غرائب الصدف أني وجدت حضرة الاستاذ نفسه ، في كتاب له ، يصف الشيخ محمد عبده بقوله « كبير لاهوتيي مصر في القرن الماضي » : « إلى السبيل » ص ١١٢) .

التفريق بين ما يسمّونه « عالم اللاهوت » و « عالم الناسوت » ... الخ ، ولا يسمح القلم بالخوض فيها . فاذا كان اللفظ مستعملاً في اللغة العربية ، وكان المعنى الذي يؤديه معنىً عامّاً لا يقتصر على دين خاص ولا يختص بملة بعينها ، فلِمَ العدول عنه إلى غيره ؟

ولا يسعني أخيراً إلا أن أوجه أصدق التحية والتقدير لأدبكم العالي في النقد ولفتاتكم البارعة في العرض والسلام

دكتور عثمان أمين

تتمة لبحث العرب عرفوا أميركة

جاءنا من حضرة الأب أنستاس ماري الكرملي الكلمة الآتية :

زارني الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي ، من كتبة دار الكتب المصرية في ١٩٤٥/١/٣٠ فذكرت له أن مجلة المقتطف تنشر مقالا في جزء فبراير عنوانه : « عرف العرب أميركة قبل أن يعرفها أبناء الغرب » . فقال : وهل ذكرت في هذا الصدد ما جاء في الجزء الأول من مسالك الأبصار ص ٣١ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤ ؟ قلت لا . وما هذا النص ؟ قال : سأنقله لك نهار غد وأبعث به اليك . وفي اليوم جاءني وديك نصه :

﴿ تخيل علماء الاسلام لوجود أميركة قبل اكتشافها بقرن ونصف ﴾

« وقال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الاصفهاني امتع الله به .

« لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ، منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى[1] والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه . وبالله التوفيق .

هذا ما ورد في الجزء الأول من مسالك الابصار وتعليق المرحوم شيخ العروبة زكي باشا على هامش ما أورده . فأرجو إحقاقاً للحق وخدمة للتاريخ الاشارة إلى هذا . وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

محمد عبد الجواد الأصمعي
بدار الكتب المصرية

---

(١) للاصفهاني (وهو مصري) فضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالاندلس) لانه قال بوجوده النظرية بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل أكبر على مكتشف أميركة : لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل الهند من جهة الغرب . توفي أبو الثناء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) وأما كولومب فقد اجتهد في انفاذ فكرته وابرازها صاحب الاندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ)